كتاب بدء الوحى

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) عن علقمة بن وقاص عن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى : فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

الوظيفة الإعلامية للحديث

هذا الحديث من نوع الأحاديث التوجيهية . ويمثل بداية مرحلة أساسية فى تاريخ المسلمين . مرحلة ما بعد الهجرة . حكى المهلب أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب به حين قدم المدينة مهاجراً – مع الاختلاف بين العلماء فى ذلك – وقال ابن دقيق العيد : نقلوا أن رجلاً هاجر من مكة إلى المدينة لايريد فضيلة الهجرة . وإنما هاجر ليتزوج امرأة تسمى أم قيس . ولهذا خص فى الحديث ذكر المرأة دون سائر ماينوى به .

وعلى أية حال . فالحديث يوجه المسلمين لأمر أساسى من أمور الدين ، وهو الإخلاص ، أو صدق النيات . وترجع أهميته إلى أنه يسبق العمل ، ويجعل الفرد بقلبه وعقله مع هذا العمل . وهذ يعنى أقصى درجات الاقتناع والإيمان بالعمل . فالإنسان قد ينافق فى قوله فيقول مالا يقتنع به . وقد يعمل عملاً على سبيل المجاملة أو الخوف . ولكنه لاينافق فى النية أبداً ، فالنية هى التى تميز العمل الخالص لله عن العمل لغيره رياء . وتميز مراتب الأعمال كالفرض عن الندب . وتميز العبادة عن العادة .

والمرحلة الجديدة التى انتقل إليها المسلمون مرحلة ما بعد الهجرة وبناء الدولة الإسلامية تحتاج أول ماتحتاج إلى هذا النوع من الإخلاص . ولذلك كان هذا الدرس من الدروس الأولى التى تعلمها المسلمون فى بداية هذه المرحلة . ويتفق هذا الحديث مع قوله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »[١] ، وقوله

(١) سورة البينة الآية ٥ .

تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا »[1] ، قال أبو العالية : « وصاهم بالإخلاص فى عبادته » .

ولأهمية هذا الحديث تواتر النقل عن العلماء فى تعظيم قدره قال أبو عبدالله : « ليس فى أخبار النبى صلى الله عليه وسلم شئ أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث » واتفق عبدالرحمن بن مهدى والشافعى فيما نقله البويطى عنه وأحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وأبو داود والترمذى والدارقطنى وحمزة والكسائى « على أنه ثلث الإسلام ومنهم من قال ربعه »[2].

وتتحقق الوظيفة التوجيهية للحديث من خلال الربط بينه وبين السلوك الصادر عن الإنسان . وسواء أكانت الاستجابة علنية متمثلة فى أفعال أو أقوال أم كانت خفية لم يكشف عنها تجاه الأفكار والآراء . فإن الحديث لتحرير الإنسان من النفاق يربط بين النيات والأعمال ويستوجب أن تكون النية حسنة ، كما أنه من ناحية أخرى يحث على استمرار هذا الإدراك الواعى من قبل الفرد . ولهذا فهو يربط النية الحسنة بالجزاء – كعامل تشجيعى – ويتضح ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله »[3] فالذى يجزيه عن نيته خيراً أو شراً ، هو الله سبحانه وتعالى .

جمهور الحديث

يتوجه هذا الحديث بالخطاب إلى جمهور المهاجرين خاصة والمسلمين بعامة . ويقسم الجمهور وفقًا للنية إلى نوعين :

– جمهور يقصد بعمله الدنيا .

– جمهور يقصد بعمله وجه الله أو الآخرة .

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .
(٢) أحمد بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١ ص ١١ .
(٣) المرجع السابق : كتاب مناقب الأنصار جـ ٧ ص ٢٢٦ .

ومعيار القياس أو التقسيم هنا معيار ذاتى ، لأنه يتعلق بمنطقة القلب ولايستطيع إدراك ما فيها سوى الله عز وجل وصاحب الشأن لأنه أدرى بنفسه . فالذى يهاجر مثلاً ، ظاهر عمله أنه يهاجر ابتغاء وجه الله ونصرة الدين . لكن قد تكون هناك لبعض الأفراد أغراض أخرى غير واضحة ويوجه الحديث نظر هؤلاء الأفراد إلى ضرورة العناية بالمداخل النفسية تحصيناً لهم من النفاق أو الجوانب الشخصية التى تجعل المرء يظهر شيئًا ويبطن غيره . والتمثيل هنا فى الحديث بدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها تمثيل بأمرين يمثلان واقعًا عاشه بعض المسلمين فى بداية مرحلة مابعد الهجرة ويمثل اهتمامات مثارة ومطروحة للمناقشة بين المسلمين فى ذلك الوقت . ولذلك كان اختيار التمثيل بالمرأة والدنيا اختياراً موفقًا كنموذج للنوايا غير الحسنة ولتوجيه نظر المسلمين إلى ضرورة العناية بالنية وأن نية المرء خير من عمله وذلك كأساس لبناء الدولة الإسلامية بالمدينة وإرساء أعمدتها على الإخلاص والتقوى .

الأساليب الإعلامية

يكشف التحليل الإعلامى للحديث عن الأساليب الآتية :

١- أسلوب الحصر

ويتضح من قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات » فهذا التركيب يفيد الحصر ويعنى أنه لاعمل إلا بنية . والنية تعنى القصد أو عزيمة القلب ، وقال البيضاوى : « النية عبارة عن انبعاث القلب نحو مايراه موافقًا لغرض من جلب نفع أو دفع ضرر حالاً أو مآلاً . وشرعًا الإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله والامتثال لحكمه » .

٢- أسلوب التفصيل بعد الحصر

فبعد الحصر والإجمال فى « إنما الأعمال بالنيات » عاد الحديث وفصل ، فقسم أحوال المهاجرين وفقًا للنية إلى ثلاث فئات : فئة هاجرت للدنيا وفئة هاجرت من أجل نكاح امرأة وفئة ثالثة كانت هجرتها خالصة لله ورسوله .

٣- أسلوب التوكيد

فى « وإنما لكل امرئ مانوى » وذلك لاشتراط النية والإخلاص فى الأعمال .

٤- أسلوب الجزاء

وهو هنا مرتبط بالنية – فبينما أوضحت الجملة الأولى ما يعتبر من الأعمال بينت الجملة الثانية ما يترتب عليها ، أى الجزاء المرتب عليها وطبيعته .

٥- أسلوب الذم

حيث أشعر سياق الحديث بذم من كانت هجرته لغرض المرأة أو الدنيا ، وتضمن الإشارة إلى عدم صحتها فى « فهجرته إلى ما هاجر إليه » كما أن ذكر المرأة مع الدنيا فيه انتقال من الخصوص إلى العموم زيادة فى التحذير والتنفير .

٦- أسلوب الحث

حيث يحث المسلمين على الإخلاص لله ورسوله وصدق النية فى كل عمل .

٧- أسلوب المحاكمة العقلية

بمعنى التفكير وعدم الإقبال على العمل قبل معرفة الحكم ، لأن العمل يكون منتفيًا إذا خلا من النية ولأنه لايصح فعل الشئ إلا بعد معرفة حكمه .

٨- أسلوب التشبيه

وهو تشبيه للدلالة على مشاركة أمر لأمر ، حيث شبه تحصيل الدنيا بإصابة الغرض بالسهم وعلى هذا فالإصابة هنا تعنى الحصول ... والمعنى فمن كانت هجرته إلى تحصيل الدنيا فهجرته حاصلة لأجل الدنيا أى أصاب الهدف إلا أنها غير مقيدة له فى الآخرة ... ودلالة التشبيه هنا فى موافقته لمجال الخبرة المشترك للجمهور حيث

استخدم للدلالة على المعنى المقصود وصفًا يسهل تخيله وتصوره لدى فئات الجمهور المختلفة ليسهل بالتالى إدراك المعنى المقصود والاقتناع به .

٩- أسلوب الترغيب

بفتح باب الأمل أمام المسلمين لأعمال الخير ... باعتماد النية كأساس لقبول الأعمال وتقسيمها والمحاسبة على أساسها . فهى أبلغ من العمل . وتقبل النية بغير العمل فإذا نوى حسنة يجزى عليها ولو لم يعمل ...وإذا عمل حسنة بلانية لم يجز بها . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من هم بحسنة ولم يعملها كُتِبَت له واحدة ومن عملها كُتِبَت له عشرًا » . ورُوِىَ أيضًا أنه قال : « نية المؤمن خير من عمله » . والنية هى الرغبة أو الميل للاستجابة لنيةٍ ما بصورة معينة أو بمعنى آخر هى الاستجابة الداخلية غير الظاهرة لنيةٍ ما . وترجع أهمية النية إلى أنها تساعد على تحديد الشكل النهائى للاستجابة . ولذلك فدورها مهم فى عملية تنسيق المعلومات . أى عندما يختار الفرد بين المنبهات التى يتعرض لها . وهذا هو السبب فى اهتمام الحديث الشريف بالنية إلى درجة جعلها شرطًا لأداء جميع الأعمال . لأن مجرد تحقيق الاستجابة الداخلية حتى وإن لم تقترن بالاستجابة العلنية كافٍ من وجهة النظر الإسلامية . لأن وجود هذه الاستجابة الحقيقية يؤدى إلى استجابة أخرى علنية أى إلى السلوك المطلوب والمحدد وفقًا للنية . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن التلازم بين الاستجابتين يعنى أن الفرد سوف يظل يسلك السلوك نفسه مهما تنوعت وتعددت المنبهات الأخرى التى يمكن أن يتعرض لها .

وبهذا تتضح أهمية هذا الأسلوب فى الترغيب بفتح باب الأمل أمام المسلمين .. لتحصيل الثواب بمجرد ضبط نظام النوايا وجعلها فى الاتجاه الإسلامى الصحيح وذلك للتحصين الذاتى الداخلى . وإتاحة الفرصة دائمًا للعودة والالتزام بالتوجيهات الإسلامية الصحيحة ثم ضمان عدم مشاكلة الباطن للظاهر من التصرفات والأفعال عند مخالفتها لهذه التعاليم .

(٢) عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاء الملَك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه[١] حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر . لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل[٢] ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى – ابن عم خديجة – وكان امرءًا قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة ، يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له

---

(١) زملوه : لفوه .

(٢) الكل : من لايستقل بأمره .

ورقة : هذا الناموس[1] الذى نزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعًا[2] ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى .

(٣) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى[3] وقد وعيت ما قال ، وأحيانًا يتمثل لى الملَك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول » ، قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيقصم عنه وإن جبينه ليتفصد[4] عرقًا .

(٤) عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال – وهو يحدث عن فترة الوحى – فقال فى حديثه « بينما أنا أمشى ، إذ سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملَك الذى جاءنى جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملونى ، فأنزل الله تعالى « يا أيها المدثر ، قم فأنذر » – إلى قوله – « والرجز[5] فاهجر » فحمى الوحى وتتابع .

---

(١) الناموس : الملَك . ويراد به هذا جبريل عليه السلام .

(٢) الجذع : الصغير الفتى من البهائم ، وتفيد هنا تمنى الشباب .

(٣) يفصم : يقلع .

(٤) يتفصد : من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم أو تفيد هنا المبالغة فى كثرة العرق .

(٥) الرجز : العذاب ويراد بها هذه الأوثان لأنها سببه .

(٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى « لاتحرك به لسانك لتعجل به » قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما – فحرك شفتيه – فأنزل الله تعالى « لاتحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه » قال جمعه لك فى صدرك ونقرأه « فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » قال فاستمع له وأنصت « ثم إن علينا بيانه »ثم إن علينا أن نقرأه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه .

الوظيفة الإعلامية للأحاديث

الوظيفة الإعلامية فى هذه الأحاديث الأربعة هى وظيفة الإخبار عن بدء الوحى وملابساته .

وتتحقق الوظيفة الإخبارية بالنسبة للحديث الأول على النحو الآتى :

– الإخبار عن المرحلة التمهيدية لبدء الوحى بالرؤيا الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .. ثم عن حال التحنث أو تعبد الليالى ذات العدد بغار حراء .

– الإخبار عن الحالة النفسية للرسول صلى الله عليه وسلم وهى حالة الفزع أو شدة الرعب .

– الإخبار عن موقف السيدة خديجة رضوان الله عليها ورباطة جأشها وتأييدها للرسول صلى الله عليه وسلم بقولها : « كلا والله مايخزيك الله أبدًا » وبيان الأسباب التى بنت عليها موقفها هذا كما تضمنها الحديث الثانى ثم موقفها فى الرجوع إلى أهل العلم والدراية لتفسير هذا الموقف .

- الإخبار عن حال التعجب والدهشة للرسول صلى الله عليه وسلم من قول ورقة « ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى » والتعجب كان لاستبعاد النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرجه قومه ... لأنه لم يكن فيه سبب يقتضى الإخراج ، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التى تقدم من السيدة خديجة وصفها .

أما الحديث الثالث فيخبر عن كيفية إتيان الوحى . أى الصفة التى يأتى عليها الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم ... وتنحصر فى حالتين :

- « مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال » .

- « وأحيانًا يتمثل لى الملَك رجلاً فيكلمنى فأعى مايقول » .

وهناك صورة ثالثة أخبر عنها الحديث الرابع وهى صورة الملَك « بينما أنا أمشى ، إذ سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملَك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملونى » وهذه الصورة لجبريل تعنى صورته التى خلق عليها - صورة الملَك - ولم تحدث للرسول صلى الله عليه وسلم إلا مرتين ، وللترمذى عن مسروق عن عائشة « لم ير محمد جبريل فى صورته إلا مرتين : مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة فى أجياد »[1] .

وتوجد صور أخرى للوحى غير هذه وردت بنص القرآن الكريم وتضمنها الحديث النبوى الشريف وهى :

- سماع الكلام القديم كسماع موسى عليه السلام بنص القرآن .

- تلقى الوحى بالقلب كقوله عليه السلام « إن روح القدس نفث فى روعى » أى فى نفسى ويعنى الإلهام .

- التلقى عن الله عز وجل مباشرة كما فى ليلة الإسراء .

---

(١) مكان بجوار بيت الله الحرام .

– وحى إسرافيل عليه السلام كما جاء فى الشعبى أن النبى صلى الله عليه وسلم وكل به إسرافيل علي السلام ثلاث سنين ... « وأنكر الواقدى ذلك » .

أما وظيفة الإخبار فى الحديث الرابع فهى عن كيفية تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم للوحى – خاصة فى ابتداء الأمر – وحال الحرص الشديد من الرسول صلى الله عليه وسلم على تلقيه وعدم تفلت أى شئ منه ... وكان إذا لقن القرآن نازع جبريل القراءة ولم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ لئلا يتفلت منه شئ قاله الحسن وغيره . ووقع فى رواية للترمذى « يحرك به لسانه يريد أن يحفظ » . فأمر بأن ينصت حتى يقضى إليه وحيه . ووعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره ... قال تعالى : « لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »[1] . ونحوه قوله تعالى : « ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه »[2] أى بالقراءة .

وتفيد هذه الأحاديث أيضًا فى تحديد أحد المستويات الاتصالية فى الاتصال الإسلامى وهو :

– **المستوى الاتصالى الأول** : من الله عز وجل إلى الوحى أو جبريل عليه السلام ، ويكشف هذا المستوى الاتصالى عن حقائق متعددة هى :

١– صعوبة التلقى مباشرة عن الحضرة الإلهية إلا وحيًا أو من وراء حجاب لأن وجود الوحى يخفف من وطأة الرسالة المقدسة على النفس البشرية ويقلل من ثقل الاتصال السماوى بالبشرى على النفس ... وإن كانت الأحاديث السابقة لم تنف هذا الثقل بالنسبة للتلقى عن الوحى أيضًا ... فكان إذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة .. وقالت السيدة عائشة رضوان الله عليها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا .

٢– عظم قدر الرسالة وثقل تعاليمها وروحانية مضمونها وجلال شأنها وصعوبة التلقى المباشر لكلماتها .

---

(١) سورة القيامة الآيات ١٦–١٩ .

(٢) سورة طه الآية ١١٤ .

٣- الإشارة إلى قدر المصدر وعظم مكانته وأنه ما ينطق عن الهوى لسابق إعداده ولأنه مؤيد بالوحى من قبل المولى عز وجل ، وأنه « ماينطق عن الهوى »[١] « لأن عناية الله تلازمه وتتابعه وتوجهه حتى فى مجرد حركة لسان يسبق بها الوحى حرصًا على استيعاب الرسالة فينزل الله تعالى قرآنًا : « لاتحرك به لسانك لتعجل به »[٢] .

الجمهور المخاطب بهذه الأحاديث

هذه الأحاديث من نوع الخطاب العام وجمهورها هم كافة المسلمين .

وتستهدف إيضاح الحقائق المتعلقة بالوحى سواء بالنسبة لبدايته أو كيفيته وحال الرسول صلى الله عليه وسلم حين يفضى إليه ... ويفيد هذا الخطاب المسلمين من ناحيتين:

- زيادة حال الطمأنينة واليقين لدى المسلمين ، خاصة وأنه كان هناك من الكفار من ينكرون الوحى أساسًا وينكرون مجئ الملَك به ويقولون كما عبر عن ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : « إن هذا إلا قول البشر »[٣] .

- بيان حقيقة أساسية ومهمة خاصة بالإسلام وهى الوضوح والصراحة والعلنية وأنه لاشئ يخفى لأنه لا أسرار . وحتى فى الأمور الخاصة بالوحى وأحوال الأنبياء فللمسلمين أن يسألوا . ومثل هذه الأسئلة لاتقدح فى اليقين .

الأساليب الإعلامية

تفيد هذه الأحاديث الأساليب الإعلامية الآتية :

١- **السيطرة على كافة عوامل التشويش** التى تؤثر على استقبال الجمهور للرسالة الإعلامية . والإقبال على القائم بالاتصال بكافة مشاعرهم وأحاسيسهم ومداركهم لضمان الاستيعاب الكامل للرسالة الإعلامية وذلك حتى لاتؤثر هذه

---

(١) سورة النجم الآية ٣ .
(٢) سورة القيامة الآية ١٦ .
(٣) سورة المدثر الآية ٢٥ .

العوامل على أجهزة استقبال المعلومات لديهم ولاعلى جهاز تحليل المعلومات وفهمها وتدبرها . وفى معرض إيضاح هذه الحقيقة وتعليمها للرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ورد قول الله تعالى : «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه »[1] « أى استمع : لضمان الاستيعاب – وأنصت : للتأمل والتدبر والتفكر . والاهتمام بالسيطرة على كافة عوامل التشويش التى تؤثر على استقبال الجمهور للرسالة الإعلامية كما استقيناها هنا من موقف معالجة الرسول صلى الله عليه وسلم للوحى فى الحديثين الثالث والخامس . وهى ليست أمرًا خاصًا بعملية الاتصال وحسب ولكنها أساسًا لممارسة العبادات الإسلامية كالصلاة مثلاً . فالمسلم مطالب بالسيطرة على كل المنبهات التى تشغله والانخلاع عنها قبل التهيؤ للصلاة وأيضًا فى أثناء الصلاة .. وذلك حتى تتحقق من هذه الصلاة الآثار المترتبة عليها .

٢- **الطبيعة الثقافية للدين الإسلامى** من حيث كونه دين الثقافة والمعرفة فأول آيات نزل بها الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم تبرز حقيقة التعليم وأهميته للمجتمع وتشير إلى القلم باعتباره أوسع وأعمق أدوات التعليم فى حياة الإنسان وتحدد الغاية الأساسية للعلم ورسالته فى الإيمان والعمل الصالح اللذين يقربان صاحبهما إلى الله تعالى ويوصلانه إلى رضاه لأن مصدر التعليم والذى علم بالقلم هو الله سبحانه وتعالى يستمد منه الإنسان كل ما علم وكل ما لم يعلم وكل مايفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه . فكله من الله « اقرأ باسم ربك الذى خلق »[2]. وهذه الطبيعة الثقافية تحدد ابتداء مسئولية الجمهور تجاه التحرك الواعى لاستيفاء الثقافة والمعرفة والبحث عنها فى مصادرها لغرض الطمأنينة ومن ذلك سؤال الصحابة رضوان الله عليهم للرسول صلى الله عليه وسلم عن كيفية الوحى وعن الأمور التى لاتدرك بالحس فيخبرهم ولاينكر عليهم .

---

(١) سورة القيامة الآية ١٨ .

(٢) سورة العلق الآية ١ .

٣- **يحدد الحديث الثانى طبيعة العلاقة بين القائم بالاتصال والجمهور وفقًا لمضمون الرسالة الإعلامية** فى قول ورقة بن نوفل « لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى » فطبيعة الجمهور الأساسية عدم التخلى بسهولة عن الأمور المرتبطة بالمعتقدات والتقاليد والقيم ومعاداة الذين يحملون على هذه الأمور بمختلف الأساليب وقد تصل إلى درجة الطرد والنفى وأحيانًا القتل وذلك كما حدث مع كثير من الأنبياء وواجب الدعاة هنا هو الصبر واستصغار كل كبير وكل عقبة ، قال تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، ولاتمنن تستكثر ، ولربك فاصبر »(١).

كما تتضح الشدة والمعاناة أيضًا من حال موقف تلقى الوحى كما يوضح الحديث الثالث « فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا » وهى بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم : شدة الامتحان ليبلو صبره ويحسن تأديبه فيرتاض لاحتمال ما كلف به من أعباء النبوة على حد قول الخطابى .

ويستفيد من هذا النموذج القائمون بالاتصال والدعاة حيث يوضح لهم ماينبغى عليهم بذله من جهد ومشقة لتحصيل العلوم والمعارف قبل التصدر لتعليم الناس أو الاتصال بهم .

٤- **تفيد الآيات الكريمة السابقة** التى تضمنها الحديث الرابع فى تحديد أهم مقومات الممارسة الإعلامية للقائمين بالاتصال وللدعاة كما يلى :

- ضرورة اتاحة الفرصة للنفس للتأمل وخلو الذهن لاستكشاف الحقائق وذلك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فى غار حراء .

- اعتبار نشر التعليم القضية الأساسية الأولى للدعاة وللقائمين بالاتصال باعتباره البنية الرئيسية التى ينبنى عليها أى فكر أو اعتقاد بعد ذلك .. لأن التعليم أساس التفكير والتدبر والاقتناع والجهل قرين التعصب والتقليد والانغلاق .

---

(١) سورة المدثر الآيات ١-٧ .

- تحديد الوظيفة الأساسية للداعية أو القائم بالاتصال فى بداية أمره فى الإنذار ويعنى التنبيه للخطر القريب الذى يتعرض له السائرون فى الضلال وهم لايشعرون .

- ضرورة توافر المستلزمات الأساسية للداعية لضمان نجاحه فى دعوته وهى :

- إيجابية الداعية وحركته الدائبة فى اتجاه البناء الخلاق والإصلاح والتطوير لمجتمعه وواقعه .
- صدق الاعتماد على الله والثقة به لأنه الكبير المتعال .. وبالتالى فكل أحد وكل قيمة وكل حقيقة سواه تنمحى ولايكون بالتالى فى نفس الداعية أى ظلال للخوف أو الرهبة من أحد .
- التمثيل الصادق لأفكاره وقيمه التى يدعو إليها وبالتالى تجنب المعتقدات الشائهة والرخيص من الأخلاق والعادات .
- التحلى بأهم الصفات المؤهلة للنجاح فى الدعوة وهى :

- طهارة القلب والخلق والعمل أى طهارة الذات التى تحتويها الثياب كأساسات ضرورية لمزاولة الدعوة وسط التيارات والأهواء « وثيابك فطهر » .

- إنكار الذات وعدم المن بما يقدم من جهد أو استكثاره أو استعظامه « ولاتمنن تستكثر » .

- الصبر على هذه المعركة الشاقة ، معركة الدعوة إلى الله ، المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب ومع أعداء الدعوة « ولربك فاصبر » .

- الاستحباب للمعلم أو للقائم بالاتصال أن يمثل للمتعلم أو الجمهور بالفعل ويريه الصورة بفعله إذا كان فيه زيادة بيان على الوصف بالقول وذلك كما فعل ابن عباس رضوان الله عليه عندما حرك شفتيه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما .

٥- **أسلوب التدرج** فى اختيار الأساليب المناسبة للاتصال والإقناع مع مراعاة عوامل التهيئة النفسية لضمان الاستجابة للدعوة ويستفاد ذلك من الحديث حيث كان أول ما بدأ من الوحى الرؤيا الصالحة ثم جاء الوحى فى صورة ملَك .. وذلك للتدرج فى إعداد وتهيئة الرسول صلى الله عليه وسلم للدعوة .. وأيضًا طبيعة التكوين البشرى إذ لو جاء الملَك بصريح النبوة لفاجأة . كما أن هذه الصورة لاتتحملها القوى البشرية .. وأيضًا لغرض التعليم للأمة لمراعاة التدرج فى إعطاء ما يناسب قدرات الجماهير .. افتداء بذلك .

٦- **أسلوب التشبية** : فى الحديث « مثل فلق الصبح » ووجه الشبه هو الظهور البين الواضح الذى لايشك فيه وذلك للتأكيد على صدق تحقق الرؤيا .

٧- **أسلوب المجاز** فى كيف يأتيك الوحى ، فى الحديث الثالث حيث أسند الإتيان إلى الوحىْ أى أسند الفعل إلى غير ما هو له عند المتكلم .. إذ المعروف أن الذى يأتى بالوحى هو الله سبحانه وتعالى .

٨- **أسلوب الاستعارة بالكناية** : حيث شبه الوحى برجل وأضاف إلى المشبه الإتيان الذى هو من خواص المشبه به وأيضًا تشبيه الجبين بالعرق ، والمقصود المبالغة فى كثرة العرق ، ولذلك وقع لفظ عرقًا تمييزًا لأنه توضيح وتفصيل بعد إجمال كما يقول العينى .